***مَدى البُرتقال  
رحلات بصرية في المشهد الطبيعي: ملصقات سياسية فلسطينية مُختارة من مجموعة المتحف***

**Glimmer of a Grove Beyond**

*Visual journeys through the landscape: Curated selection from the Museum’s collection of Palestinian political posters*

*قيمة المعرض: أديل جرار*

طالما كان للملصقات دور بارز مرافق للثورات على مدى التاريخ، فهي من أهم أدوات نشر الرسائل السياسية، والأفكار، وحشد الجماعات حول قضية ما، نظرًا لكونها وسيلة فعالة، وغير مكلفة، تطبع بسرعة باستخدام تقنيات متعددة، كتقنية "أوفسِت"، و"الليثوغرافيا"، ويمكن إغراق مدينة كاملة بها بين ليلة وضحاها وإحداث الأثر المرغوب بسرعة وفاعلية.

برز دور الملصق السياسي الفلسطيني بين أواسط الستينات وحتى أواخر الثمانينات، كأداة حشد وتعبئة ودعاية، خلال الثورة الفلسطينية وزمن الكفاح المسلح، وخاصة بعد تأسيس وحدة الفن والثقافة الوطنية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1965، بقيادة الفنان الفلسطيني إسماعيل شموط. استخدمت الملصقات كوسيلة لإثبات عدالة القضية الفلسطينية، وفضح جرائم المشروع الصهيوني وتقويض دعايته. كان ظهور وانتشار هذه الملصقات في الفضاء العام دليلًا مؤكدًا على وجود الفلسطيني، وتحديًا لمن يحاول نفي وجوده، كما كان لها دور مقوّض لصورة الفلسطيني النمطيّة التي تبنّتها بعض وسائل الإعلام الغربية، إضافة لاعتبارها مكانًا مثاليًا لتصوير أرض فلسطين التي فقدها اللاجئ، ولا يعرفها من ولد خارجها، فتشحذ الملصقات خياله حولها. كان يتم إنتاج هذه الملصقات بشكل أساسي خارج حدود فلسطين الجغرافية، وقد منعت السلطات الإسرائيلية إنتاجها ونشرها خلال فترة الحكم العسكري وما قبلها، فطبعت هذه الملصقات في بيروت وتونس، وغيرها من المدن التي انتشرت فيها كوادر منظمة التحرير الفلسطينية حول العالم. ألهمت روح النضال والثورة الفلسطينية في حينها ثورات متعددة وجماعات وحركات سياسية مناوئة للإمبريالية والكولونيالية في أصقاع الأرض، وأثارت تضامنًا دوليًا واسعًا، رفدت بذلك المخيلة الثورية العابرة للحدود التي أشعلتها منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الوقت. جمعت القضية بعدالتها حولها الفنانين من كافة أنحاء العالم، واشتملت الملصقات على تصاميم للفنانين والمصممين، مثل: محي الدين اللباد (مصر)، وضياء عزاوي (العراق)، وكاظم حيدر (العراق)، ومنى السعودي (الأردن/ فلسطين)، ومحمد شبعة (المغرب)، وكمال بلاطة (فلسطين)، وسليمان منصور (فلسطين)، ونبيل عناني (فلسطين)، ومارك رودين (سويسرا)، وجاك كوالسكي (بولندا)، ورايوتشي هيروكاوا (اليابان)، وبرهان كركوتلي (سوريا)، ويوسف عبدلكي (سوريا)، وغيرهم، والذين أغنت التجربة النضالية تجربتهم الفنية، واستطاعوا تجريب مدارس وأساليب فنية وطرائق جمالية جديدة، إذ لم تكن هناك توجيهات فنية أو جمالية مقيدة من منظمة التحرير الفلسطينية، واشتملت الخطوط الحمراء المتعلقة بالمحتوى على نقاط قليلة معدودة، كان من أهمها ألّا تحتوي الملصقات على أيّة دعاية معادية للسامية، انطلاقًا من أن العداء هو للصهيونية والاحتلال، وليس عداء للديانة اليهودية.

قامت عدة معارض فنية ومسابقات حول فن الملصق الفلسطيني وثيمة النضال والتحرير، منها: "المعرض العالمي لفلسطين" الذي نظمته منظمة التحرير الفلسطينية في جامعة بيروت العربية عام 1978، و"المعرض العالمي للملصقات" الذي تم تنظيمه في بغداد عام 1979، وقد اختار المعرض ثيمتان: “نضال العالم الثالث لأجل التحرير" و"فلسطين ـ وطن مسلوب"، وصمم ملصقه الرئيسي الفنان بيدرو لابريال. احتوت الملصقات على مواضيع كثيرة تركزت حول الثورة الفلسطينية والعودة، وكان من بين هذه الثيمات: جمال الأرض المسلوبة، والكفاح المسلح والفدائي، وتخليد شهداء الثورة، ووحشية المشروع الصهيوني، ومعاناة اللاجئين الفلسطينيين، وغيرها. أما الرموز والعناصر الأيقونوغرافية التي احتوتها فاشتملت على: خارطة فلسطين، والزيتون، والرمان، والبرتقال، والكوفية، والثوب الفلسطيني، ومفتاح العودة، والسلاح، ونقوش التطريز، والحمام والطيور، والفلاح، والزهور، خاصة شقائق النعمان، ولكل من هذه الرموز معنىً وجداني خاص في المخيلة الجمعية الفلسطينية وإرثها الثقافي.

نص الجدار  
  
 يبحث معرض "مدى البرتقال" في تمثيلات الأرض والجغرافيا والطبيعة الفلسطينية في جزء من الملصقات السياسية الموجودة في المجموعة الدائمة للمتحف الفلسطيني - مجموعة الملصقات السياسية الفلسطينية، وهي منحة كريمة من السفير السابق، علي قزق، وتحوي 540 ملصقًا، صمِّمت بين أواخر الستينات وحتى أوائل التسعينات.

يحاور المعرض فكرة المشهد الطبيعي، والتغييرات التي شهدتها جغرافيا فلسطين، متمثّلةً حينًا في فوتوغرافيا المستشرقين، وحينًا كجغرافيا مفقودة، وحينًا آخر كحلم، وتارةً كمشروع سياسي، أو فكرة أيدولوجية، وتارةً أخرى بشاعرية فطرية. يحاول المعرض طرح ارتباطات بين أساليب وطرق التمثيل البصري والأيقونوغرافي للمشهد الحضري، فكريًا وجماليًا، وعلاقته المتذبذبة بالمشروع السياسي والظرف التاريخي. يرفد المعرض سابقه، "اقتراب الآفاق"، ويوفر المجال لاختبار المشهد الحضري والطبيعي بوسيلة فنية إضافية: الملصق السياسي.

يأتي المعرض في 7 أقسام، تم تقسيمها، أيقونوغرافيًا أو موضوعيًا، إلى: الزراعة، والبرتقال، والمرأة، والدمار كمشهد، والمشهد الطبيعي في المخيال، والفدائي الملثم والسلاح، وزهر وحنون (شقائق النعمان). وتعرض الأقسام طرقًا مختلفة استخدم فيها هذا الرمز أو ذاك الموضوع، وعلاقته بالمشهد الطبيعي.

استلهم اسم المعرض: مدى البرتقال، من مذكرات الشاعر الفرنسي جان جينيه، والتي يتحدث فيها عن رؤيته لأضواء الجليل في المدى من الحدود الأردنية، أثناء تخييمه مع الثوار الفلسطينيين أوائل السبعينات حين انضم للثورة.